مقالات

الأطفال وتنمية التسامح

د. أمل محمد حسونة
وكيل شئون التعليم والطلاب
ورئيس قسم العلوم النفسية
كلية رياض الأطفال
جامعة بورسعيد

ثقافة السلام وتنمية التسامح لدى الأطفال:

وسط الحروب والصراعات التي تمر بها العديد من الدول يدور الحديث حول ثقافة السلام. ولم تعد الدعوة لثقافة السلام مجرد خطاب يتبناه عدد من المثقفين المعادين للحرب، والداعين لحل الصراعات الدولية بالأساليب السلمية؛ ولكنها تحولت منذ عام 2000 إلى مذهب من المذاهب المعتمدة في الأمم المتحدة.

وتعتبر هذه الثقافة أحد ألوان الثقافة التي تكتسب بالخبرة من خلال التنشئة الاجتماعية عبر مراحل النمو المختلفة، وتتبلور شأنها شأن غيرها من الثقافات في مجموعة من القيم والمفاهيم والمهارات التي تميزها، وتعطيها طابعها الخاص. وإحراز تقدم في تحقيق تنمية أوفى لثقافة السلام إنما يتأتى ـ كما تنص المادة الثانية من إعلان ثقافة السلام ـ من خلال القيم والمواقف وأنماط السلوك، وأساليب الحياة التي تفضي إلى تعزيز السلام بين الأفراد والجماعات والأمم.

إن تنشئة الطفل وتربيته على الاعتزاز بالهوية، وعلى الشعور بالانتماء الحضاري والإنساني، مع التشبع بثقافة التآخي، والتسامح، واحترام وحب الآخرين، والانفتاح على المجتمعات الأخرى، ونبذ التعصب بجميع أشكاله، هي مسؤولية الأسرة والروضة على اعتبار أنهما من المؤسسات الأهم التي تقوم على رعاية الطفل في فترة الطفولة المبكرة ؛ تلك الفترة التي أكد الباحثون أنها الأكثر مناسبة لاكتساب وتعلم المفاهيم لدى الطفل؛ حيث تعتبر هذه المرحلة الخطوة الأولى لبناء الضمير الإنساني والقيم الفاضلة.

وتلعب مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة دوراً مهماً ومؤثراً في نشر ثقافة السلام؛ بالاهتمام بإكساب الطفل مقومات هذه الثقافة من مفاهيم إيجابية ترتبط بها وتشتق عنها كمفاهيم (التسامح والتعاطف والصداقة والتواصل والتعاون والاحترام)، وجميعها مفاهيم لها طابع اجتماعي خلقي يرتبط بالعلاقة التفاعلية مع الآخرين وطرق وفنيات التعايش معهم،ولا شك إن الصراعات هي المسببات الأساسية لمشكلات سوء التوافق؛ لذا فمن شأن أي مفاهيم اجتماعية تقلل الصراعات أن تحسن من توافق الفرد.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 104 11/12/12 12:32:42 PM

وقد اتخذت منظمة الأمم المتحدة للأطفال(اليونيسيف) إجراءات في مجال تعزيز ثقافة السلام واللاعنف؛ أهمها البرامج التثقيفية في هذا المجال، والتي ترمي إلى إكساب الأطفال المهارات اللازمة لحل الخلافات اليومية، وإكساب الطفل الفرصة ليعيش تجارب إيجابية غنية تعزز إحساسه باحترام الذات والآخر، والثقة في النفس.

لذا فإن ثقافة السلام ترتبط بالقيم، والمواقف، وطبيعة السلوك الإنساني التي ترتكز على عناصر عدم العنف، وتحترم الحقوق الأساسية للإنسان، وحريات الآخرين، وذلك بالتفاهم والتسامح والتماسك. ويرتبط نشر ثقافة السلام بالتنشئة بقيمها ومفاهيمها، وهي عملية يجب أن تبدأ منذ الطفولة ،ويتضمنها نظام القيم التي تحتويها برامج التنشئة الاجتماعية والتربوية، بما في ذلك المعلومات والقيم والمهارات الحياتية، وأساليب التفاهم والتسامح والتماسك، وبناء العقل، ولقد كانت هذه القضية في مقدمة اهتمامات العديد من المؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية منذ فترة.

وقد جاء الربط بين كلمتي الثقافة والسلام لتكون مصطلحاً حديثاً في أدبيات بناء السلام في اجتماع اليونسكو بساحل العاج 1989، ثم تطور ليصبح برنامجاً متكاملاً في عام 1992، ومن ثم تم تضمينه في إستراتيجية اليونسكو من 1996إلى 2001 ليشمل برامج تعاونية بين الدول في التعليم والثقافة، ويهدف هذا البرنامج إلى نبذ العنف، ونشر مفاهيم التعايش السلمي، واحترام حقوق الآخرين وحرياتهم وتراثهم ومفاهيمهم تحت شعار (التعليم من أجل السلام).

ومنذ إعلان "أشبيليا" زادت الجهود والمبادرات المحلية والإقليمية والدولية تجاه نشر ثقافة السلام ،وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر 2000 اعتبار العقد (2001 / 2010) عقداً دولياً مكرساً لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم، ودعت إلى نشر ثقافة السلام من خلال البرامج التعليمية المقدمة للأطفال، والتي يجب أن توفر وسائل مناسبة وقريبة إلى ذهن الطفل؛ لتحفزه نحو ثقافة السلام حتى نبني جيلاً جديداً ننشئه على هذه الثقافة ويعتادها؛ فينبذ العنف، ويتوق إلى السلام، والمحبة والوئام والتعايش السلمي مع أقرانه، وذلك من خلال اكتسابه لبعض المفاهيم التربوية الاجتماعية والأخلاقية؛ لذا فقد برزت حاجة ملحة للاهتمام بثقافة السلام، وتعد ثقافة السلام من المسؤوليات والمهام الرئيسية التي تتحملها مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهى الأسرة والمؤسسة التعليمية النظامية واللانظامية (الروضة والمدرسة)، والإعلام، والمؤسسات الدينية وتضاف إليهم المنظمات التطوعية والشعبية التي يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في الإنذار المبكر عن النزاعات والمشاركة في تنفيذ البرامج الإيجابية لغرس ثقافة السلام، وتنفيذ برامج تنمية متوازنة، وتفرق"EliseBoulding" بين ثقافة الحرب وثقافة السلام، في أن الأولى تكرس مبدأ القوة، أما الثانية ـ فهي تكرس مبدأ الحب، حيث إن الحب هو المحرك الأساسي للسلوك[1].

ونظراً لحداثة مصطلح ثقافة السلام واهتمام السياسات الدولية لوحظ في هذا السياق وفرة الأحاديث والمعلومات والمؤتمرات والاتفاقيات التي تناولت ثقافة السلام، بينما

(1) إسماعيل سراج الدين (2009). الشباب ودور الإعلام في تحقيق ثقافة السلام والأمن والتنمية، الإسكندرية، ص 30.

.indd 105 11/12/12 12:32:43 PM

لاحظت غياب توافر آليات تنفيذية ونماذج لتفعيل تطبيقي لمبادئ أو مفاهيم ثقافة السلام، حيث إن القيم ليست مجرد كلمات تُرَدَّد، أو خطاب يتكرر[2]؛ وإنما للقيم مضمون يتكون من أفكار ومفاهيم ومواقف وسلوكيات يجب أن تُتَعَلَّم وتُكتسب، وبخاصة في السن المبكر؛ لذا يجب الانتقال بمفاهيم ثقافة السلام من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق، وهذا ما دعت إليه معظم المنظمات المهتمة بثقافة السلام[3].

فما أهمية إكساب الأطفال ثقافة السلام وما ترتبط بها من مفاهيم؟

- أهمية مفاهيم ثقافة السلام وأهمية إكسابها للأطفال في العمر المبكر كحلول وقائية تحميهم من الصراعات المستقبلية، وتكسبهم مهارات التعايش الإيجابي في المجتمع.
- حاجة المجتمع إلى تنمية المفاهيم الإيجابية التي تعمل على استقراره، وترتبط بقيمه ومعاييره، وتناسب خصائص أطفاله وأعمارهم، وتحقق طموحات مجتمعهم بعيداً عن الطرق المستوردة لتنمية هذه المفاهيم بكل ما تحمل من دعاوى للتغيير المفاجئ الذي قد يؤدي إلى عشوائية التغيير، وطمس للبناء القيمي الخاص به.
- تسهم ثقافة السلام وما يرتبط بها من مفاهيم كالتسامح في وضع حل مستقبلي لتجنيب الأطفال العنف والعدوان.

ومن أهم ما نادت به المؤسسات المعنية بثقافة السلام من مجالات يجب العمل من خلالها لتعزيز ثقافة السلام ما حددته جامعة السلام من مجالات ثمان، كان في مقدمتها التسامح.

فما التسامح؟

يعرف التسامح بأنه تعويد الطفل على عدم القيام بردود فعل عدوانية حينما يقع الخطأ عليه. ويؤكد «محمد السعدي» أن للتربية دوراً مهماً في ترسيخ ثقافة الحوار داخل المجتمع وما بين المجتمعات، وهذا ما يؤكده إعلان المبادئ 1995، والذي نصت المادة الرابعة فيه على أن: (التربية هي الأداة الأكثر فعالية للوقاية من التعصب، وأول خطوة في هذا الإطار تكمن في تعليم الأفراد معرفة حقوقهم وحرياتهم لضمان احترامها، ولحماية حقوق وحريات الآخرين). فالتربية على التسامح ينبغي اعتبارها واجباً أولياً، لذلك فمن الضروري تطوير مناهج نظامية لتعليم التسامح على أساس التركيز على المصادر الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للتعصب، والتي تشكل الأسباب العميقة للعنف والإقصاء، وسياسات وبرامج التربية يجب أن تسهم في تنمية التفاهم، والتضامن، والتسامح بين الأفراد، والهدف هو تكوين مواطنين متضامنين ومسؤولين، ومنفتحين على الثقافات الأخرى، وقادرين على اتقاء النزاعات، أو حلها بوسائل سلمية[4].

وهناك بعض الحقائق عن التسامح والتي تسهم في فهمه وتفهُّمه وأهمها:

1. إن احترام الآخر وحقوقه لا يستلزم قبول أو إقرار صحة أو مشروعية أفعال أو

(2) سعيد حسين الكيتانى (2008). حوار الحضارات. الثقافة الاجتماعية، ورقة عمل، الندوة الدولية (الحوار بين الحضارات والثقافات)، نزوي، وزارة التراث والثقافة والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

(3) عاطف عدلي العبد (2002). العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف لأطفال العالم (2001 – 2010)، مجلة الطفولة والتنمية ع8 مج 2، المجلس العربي للطفولة والتنمية.

(4) كارل بويل (1992). التسامح بين الشرق والغرب، بيروت، دار الساقي، ص 2001.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 106 11/12/12 12:32:43 PM

أقوال أو معتقدات الآخر التي هي محل التسامح، وإنما ينصب الإقرار أو القبول على عدم مشروعية أو صحة قسر الآخر أو إكراهه على تغييرها.

2. التسامح مع الآخر في ما هو محل اختلاف من فعل أو قول أو اعتقاد، لا يستلزم التزام الحياد تجاه ذلك الفعل أو الاعتقاد، وعدم انتقاده وبيان وجه الخطأ فيه.
3. التسامح مع الآخر في الثقافة العربية يتمثل في العفو عنه والتنازل له في ما هو حق للعافي[5].
4. إن التسامح في جوهره هو الاعتراف بالغير؛ حيث إن إنكار الغير ينطلق من مفاهيم الاستعلاء العنصري، ولذلك فإن الأفراد باكتسابهم مفهوم التسامح يتعلمون احترام الرأي الآخر، وهذا هو الشرط الضروري للحوار مع الآخر؛ لأن الإنسان لا يتناقش أو يتحاور مع طرف ينكر وجوده [6].
5. إن التسامح في مسيرة الفكر وحرية التعبير دون مصادرة أو قمع الآخر يوفر مناخاً مناسباً لتلاقي الأفكار وتطورها من خلال النقد البناء والحوار الهادف، مما يخلق مزيداً من التطور والإبداع في الفكرة وهذا ما دعا إليه (فولتير)، حيث يقول: إننا جميعاً من نتاج الضعف، كلنا هشون ميالون للخطأ؛ لذا دعونا نسامح بعضنا البعض ونتسامح نحو بعضنا البعض، بشكل متبادل، وذلكم هو المبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة [7].

أهمية التسامح:

إنه من الضروري أن ندعم في الطفل قيمة الحياة التي يعيشها من خلال التواصل الودود والمحبة المتبادلة، وأن الحياة تحتاج إلى مجموعة القيم التي ترتفع بأصحابها عن أدران الماديات، ويلعب فيها التسامح دوراً مهماً في تأصيل العلاقات الإنسانية، وتشكيل رؤيته للمستقبل، ومواجهة الحياة بوعي المتقبل، وصبر المقتنع [8].

واجبات الوالدين لتعليم الطفل التسامح:

1. الاهتمام بلغة الحوار؛ على اعتبار أن لغة الحوار هي حجر الزاوية في تعليم الطفل التسامح.
2. تجنيب الطفل التنافس البغيض والمعايرة الكاذبة، فإذا كان التنافس شريفاً وموضوعياً فإنه يخلق جواً من الألفة وتبادل الخبرة، وكذلك فإن التنافس الموضوعي يدفع إلى الاعتراف بقدرات الآخرين وتهنئة المتميزين.
3. يجب تعريف الطفل بقدراته دون المبالغة في مدحها، أو التقليل من شأنها؛ فتقدير الطفل لابد أن يكون سليماً[9].
4. يجب أن نعلم الطفل كيف يحرص على الأصدقاء.

---

(5) موسوعة سفير لتربية الأبناء (المجلد الثاني) تعليم الطفل التسامح ص381، 382.

(6) http://www.crosscurrents.org/boulding.htm

(7) http://www.unft.org.tn/paix/pres/8.doc Elise

(8) http://www.balagh.com/islam/4f0otyc8.http

(9) http//mansourdialogue.org/Arabic/fikr2.html

.indd 107 11/12/12 12:32:44 PM

5. تدريب الطفل على تقويم نفسه وأدائه في المواقف المختلفة، والإقرار بالخطأ بمساعدة وتشجيع من الكبار، حتى يعتاد على الاعتراف بالخطأ ولا ينكره؛ لأن الاعتراف به هو الخطوة الأولى نحو الاعتذار للآخرين، وقبوله منهم.
6. تعويد الطفل على الاعتذار للآخرين عند الخطأ.
7. توجيه الطفل نحو تقبل الاعتذار من الآخرين، وتشجيعه على ذلك، حتى يكون هذا التسامح تسامحاً خالياً من التنازل والضعف.
8. تعويد الطفل على مهارات التعاطف والمبادرة؛ لأن ذلك يزيد من ثقته في نفسه.
9. تدريب الطفل في الأعمار المبكرة على اكتساب مفاهيم التعاطف والصداقة والتسامح، سواء في علاقاته الواقعية بمن حوله أو في الألعاب التربوية المقدمة له.

□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ .indd 108 11/12/12 12:32:44 PM